

القصيدة معطف أسود والشاعرة صوت المتاهة

اليومي والهامشي في ديوان «صمتك كثير وظهيرتي لزجة»



كتبت الشاعرة في ناصر قصيدتها بلغة مكثفة وبسيطة ولا تخلو من إيماءات حسية جريئة

ما يجعل من هذه المقاطع ومضات شعرية هي في أغلبها منولوجات ذاتية أو منولوج مع الآخر والخيبة والفقد، إضافة إلى اللقطات السريعة التي تلخص حالة تستعيد أثرها: الربيع يحدث/ في عيني الباكيتين/ دونك لا أحق/ لا أصدق موتك. إن هذه المرأة/الشاعرة التي غادرت حكاية عمرها في محطة قطار هي نفسها التي تظل تتعلق بأذيال الحافلات في هذه الأمكنة الغريبة وهي تبحث عن وجهها وسط هذا الزحام والركض اليومي على أرض صفة المحطات الغريبة. لكنها ويعين خيالها تعيد ترتيب المشهد ومعها تعيد حكاية عمرها المسكونة بالحنين إلى البعيد، حيث تتركت حكاية عمرها معلقة على أبواب مدنه الغارقة في أوجاعها:

هذا الوجه يعثر بأذيال الحافلات/ وبإصرار عينيك على نهدي/ شهقة زهور آخر الخريف على أرض صفة هانزلو/ تهز خمولي بالحنين.

أخرى تتوغل في هذه العلاقة الحسية عميقا عندما تستحضر صورة الجسد المتشوي في أكثر حالاته تطلبا في علاقته الحميمة مع الآخر، حيث تحاول الشاعرة في هذه القصيدة أن تتمثل أثر تتسدى في أفعاله وحركاته الدالة على الرغبة والإثارة:

سترفع الأيمن/ ويفزع الأيسر حانقا/ يتلمظ شفتيك/ تقرص أصابعك برعيميها / بتلات الدم المحتقنة سترزهر/ ويتصبان مثل بؤبؤين/ لتتبدالا جسر الضراوة/ وكسفاحين سيبثان القشعريرة/ في اضلعي ودلتاي.

لغة مكثفة جدا

في الجزء الذي حمل الديوان عنوانه، صمتك كثير وظهيرتي لزجة، تتوزع القصيدة على مجموعة من المقاطع الشعرية ذات التكثيف اللغوي الشديد،

يتقاطع صوت الذات الشعرية في فضاء القصيدة مع أصوات الشعراء الذين تستحضرهم، حيث تستخدم في ذلك تقنية السرد الشعري تاركة للخيال أن يعيد بناء المشهد

قلما تجرات الشاعرات على الاقتراب منها. إن هذا الدخول في أكثر حالات الاتصال الحميم يجعل الجسد المؤنث يكتب في أكثر حالاته انكشافا واندغاماً مع الحالة الحسية المسيطرة.

في هذه العلاقة تتحول القبل إلى إزار تزين جسد الآخر وتعيد رسم صورته كما تشتهي. لكنها في قصيدة

مدية أبدية في قلب غرناطة/ أيها التائه في أساه.

يتصل خيط التجربة في قصائد الشاعرة جامعا بين أزمنة مختلفة تمتد من الطفولة إلى أزمة المنفى والمكان الغريب، الأمر الذي يجعل مخيطة الشاعرة أيضا ترحل بين أمكنة متباعدة وصور كثيرة يوحد بينها تيار الشعور المتدفق في لحظة كتابة القصيدة وإعادة استنطاق الذات والتجربة التي عاشتها بكل حسراتها وألمها ومحاولات ترمدها وخيبتها الكثيرة. لذلك تبدو المكونات اللغوية للتركيب عندها حافلة بالعبارات الدالة على الفقد والخيبة والحسرة: كي أرم جحجحه المكسور/ لم يكن بيدي الكثير كي أعله/ علق نظراته بوجهي/ ومضى.

إعلان الحب

تلحن الشاعرة الحب بجرأة كبيرة على المحبوب وتتبدى هذه الجرأة في بعدها الحسي الذي يذهب نحو مناطق

كلما صدر ديوان جديد لشاعرة عربية، ففز السؤال مجدداً: هل من جديد في هذا الصوت الأنثوي المعلن عن نفسه في كتاب شعري؟ ولعل مسوغات هذا السؤال إنما تكمن في تلك النمطية التي تشهدها منذ فترة غير قليلة الكتابات الشعرية العربية الحديثة، حتى لكان الشعر، ولاسيما الذي كتبه الشاعرات العربيات، بات أبعد ما يكون عن المغامرة الخاصة مع اللغة لصالح نوع من الكتابة المألوفة بموضوعاتها ولغتها وتراكيبها الشائعة. فهل ينطبق الأمر على صاحبة هذا الديوان؟

فيه إلى الترقيم وتوزيع القصيدة على مقاطع تميزت ببلغتها شديدة التكثيف. تجمع قصائد الديوان بين البوح والاعتراف والسرد الشعري والوصف، لكنها قبل كل هذا ويبعده هي مشغولة بالتفاصيل والهامشي واليومي في كل قصائدها وكأنها تريد أن تجعل من كل هذا الذي تعيشه سيرة حياة تبحث عن أسماء لها. لذلك تحاول أن تستجمع المؤنث في بنية العنوان ما يحمل دلالات خاصة تشي بمضمون هذه العلاقة التي سنتعرف إليها من خلال قصائد الديوان.

إن هذا البعد الإيحائي للعنوان، وما يمثله من خلاصة جزئية للديوان، لا يلغي الحضور المكثف للذات الشعرية المؤنثة في قصائدها، والتي تظل محكومة بالبعد العاطفي والحسي لهذه العلاقة دون أن تلغي أثر العلاقة مع المكان والأشياء والحياة والذات باعتبار الأخيرة تمثل محور هذه العلاقة والكيونة التي نستجلي من خلالها أثر هذه العلاقة ودلالاتها.

بين كتفي/ المجنونة التي تقضم أظافري كلما صادفتها/ نظرة شبيقة، وتلم بيدي كل أنين غريب/ التي تصرخ كلما عبرت حمالة صدري/ القديمة باخرى جديدة وترقص في المنعطفات بلا وجل/ حين تحمها الموسيقى، والتي عصرت من سنواتي دفئ/ كله وأدخرته تحت المعطف الأسود الرخيص لأول موعد.

وتلتقط الشاعرة تفاصيل مختلفة من وقائع الحياة اليومية الدالة التي تعيشها للإيجاء بطبيعة العلاقة الوجودية التي تعيشها على مستوى الزمان والمكان، علاقة تبدو أقرب إلى المتاهة التي تظل تدور فيها وهي تبحث عن أسماء لها.

إن صوت الذات في هذه القصيدة الذي تفتتح به قصائد الديوان هو الصوت المسكون بالخسارة والهامشي والحسرة، حيث تستخدم التكرار الذي يسهم في نمو فضاء القصيدة واستمرار تدفقها الدال والمعبر: ممتنة للبشر المخالين بانفسهم، وللروايات الرديئة/ ولحب في غير أوانه ولعمر يركض كارتب مذعور/ وذباية الهروب لا تزال تظن في رأسي/ ممتنة للشب في القطارات المزدحمة/ وللجوارب الممزقة/ لوعاء الطبخ الذي احترق/ والفسستان الأحمر الذي ظل معلقا بحسراتي/ ولم اشتره/ ولبسوا متاهة أسمائه كلها.

حوار مع الذات والوجوه

تقيم الشاعرة حواراتها المتعددة في مجموعة من القصائد مع وجوه كثيرة لشعراء عراقيين وأجانب (سعدى يوسف، فوزي كريم، ريلكه، لوركا..). حيث تستعيد فيها جوانب من سيرة تلك الحيات التي تقيم حوارها معها، حوار تتداخل فيه المصائر وأقدار الحياة وأقدار الشعر أيضا.

في هذه الحوارات يتقاطع صوت الذات الشعرية في فضاء القصيدة مع أصوات الشعراء الذين تستحضرهم، حيث تستخدم في ذلك تقنية السرد الشعري تاركة للخيال أن يعيد بناء المشهد بدلالاته الموحية:

من حديقتك/ قطفت رمانة غير ناضجة وجلست مع الظهيرة القاظفة/ عند دكة الباب الأخضر/ علك تقيق من قبولتك بعد ساعة أو أكثر/ غارثيا/ يا



مفيد نجم
كاتب سوري

تضع الشاعرة العراقية، في ناصر، منذ العنوان الرئيس قارئ ديوانها «صمتك كثير وظهيرتي لزجة» أمام ثنائية الأنا والآخر في جدل العلاقة التي يتقدم فيها الآخر/الرجل على أنا المؤنث في بنية العنوان ما يحمل دلالات خاصة تشي بمضمون هذه العلاقة التي سنتعرف إليها من خلال قصائد الديوان.

إن هذا البعد الإيحائي للعنوان، وما يمثله من خلاصة جزئية للديوان، لا يلغي الحضور المكثف للذات الشعرية المؤنثة في قصائدها، والتي تظل محكومة بالبعد العاطفي والحسي لهذه العلاقة دون أن تلغي أثر العلاقة مع المكان والأشياء والحياة والذات باعتبار الأخيرة تمثل محور هذه العلاقة والكيونة التي نستجلي من خلالها أثر هذه العلاقة ودلالاتها.



تلتقط الشاعرة تفاصيل مختلفة من وقائع الحياة اليومية الدالة التي تعيشها للإيجاء بطبيعة العلاقة الوجودية التي تعيشها على مستوى الزمان والمكان، علاقة تبدو أقرب إلى المتاهة

يتوزع الديوان على مجموعة من العناوين الحورية تتوزع هي الأخرى على عدد آخر من عناوين القصائد باستثناء عنوان واحد هو العنوان الذي اتخذته عنوانا للديوان، إذ لجأت

دوركهايم وسراب الخلاص

ظل علم الاجتماع منذ انبثاقه في القرن التاسع عشر يهدف إلى مطمحين: تأسيس معرفة موضوعية عن المجتمع؛ ووضع هذه المعرفة لتصحيح مساوئ ذلك المجتمع.

ورغم ما يبدو من تكاملهما فإن التوفيق بينهما صعب أحيانا. فعندما تسبق رغبة إعادة تشكيل المجتمع السعي إلى معرفتها، تتكسي النظريات الأكاديمية طابع رؤى للعالم تهدد بكسر الرابط بين الوقائع المؤكدة والتخمينات التفسيرية.

وليس أدل على ذلك من أعمال دوركهايم التي لا تزال تعتبر تأسيسا لعلم الاجتماع الحديث. فقد قامت أساسا على وعد بخلاص علماني يتم عبر موارد العقل وحدها، فيما هي أخذت عن المسيحية فكرتها الرئيسيتين: الاعتقاد بأن العالم البشري مصاب بداء يسبي إلى النظام الشعري للأشياء، والأمل في أن هذا الداء يمكن أن يزول في يوم ما. تلك هي الفكرة الأساس التي يتناولها فيكتور ستوكوفسكي في كتابه «علم الاجتماع كروية للعالم: إميل دوركهايم وسراب الخلاص».



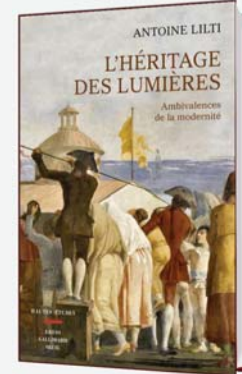
ما يتبقى من الأنوار

عادة ما يستحضر فكر الأنوار في الفضاء العام كصراع ضد الظلامية ينبغي فقط استعادة ما فيه، فكانت القراءات الشمولية تربطه بعبادة التقدم، والليبرالية السياسية وبكونية مفصولة عن جسدها.

والحال أن فلاسفة الأنوار، كما يبين المؤرخ أنطوان ليلتي في كتاب «إرث الأنوار»، لم يقدموا نظرية فلسفية متجانسة أو مشروعاً سياسياً موحداً.

لذلك يقترح إعادة النظر في فكرهم، من خلال قراءته لعدة مؤرخين معروفين وآخرين أقل شهرة، لكي يفهم بما قدموه، أي جملة من الأسئلة والمشاكل، بدل فكر تجميعي جاهز ومطمئن.

من هذه الزاوية، بدأ فكر الأنوار كإجابة جماعية على ظهور الحداثة، لا يزال تعدده يشكل أفقنا الحاضر، من أسئلة فولتير عن التجارة الكولونيالية والاسترقاق إلى آخر تأملات ميشيل فوكو، مروراً بالنقد ما بعد الكولونيالي، وحيرة الفيلسوف أمام الجمهور.



دليل المناضلين

من الكتب التي لا يمكن أن يستغني عنها أي مناضل «دليل النشاط السياسي» الذي وضعه الفيلسوف اليساري الأمريكي مايكل فالتر عام 1971 عند اجتياح الولايات المتحدة كمبوديا، فصار دليلاً عملياً وفكرياً لكل راغب في الدفاع عن قضية من القضايا الحارقة. يجد فيه أجوبة عن مدى حظوة القضية بقبول واسع، وتخبر ما يكون معقولا ومقبولا، وكيفية إقناع المعارضين، أو المختلفين داخل الشق الواحد...

عندما وصل ترامب إلى الحكم، وأراد الطلبة الأمريكيين تنظيم صفوفهم لمعارضة سياسته، قام أحد أساتذتهم بنسخ هذا الكتاب على الطباعة، لأنه فقد منذ مدة، فسألوه: «لماذا لا يوجد مثله في المكتبات، ففيه إجابة على كل الأسئلة؟» ولما شاع الخبر، بادرت مجلة نيويورك للكتب بإعادة نشره هذا العام، لأنه لم يفقد راهنته، نظرا لتناوله قضايا غير محددة بزمن.

